بين الأمير شكيب وعزت باشا

كان المغفور له الأمير شكيب أرسلان صديقاً حميماً لصاحب المقام الرفيع عبد العزيز عزت باشا . وقد أقاما بسويسره سنين متقاربين متقابلين وكان يتحف صديقه من وقت لآخر بفكاهة أو نكتة مليحة تسلية له وللأصدقاء .

وحصل أن مرض الأمير شكيب وقام بعلاجه طبيبه الدكتور يكل أحد مشاهير الأطباء في جنيف ، وصارت بينهما وبين هذا الطبيب مودة ، فنظم الأمير بعد شفائه قصيدة ثناء على الدكتور لاهتمامه به ونجاحه ، وقد ضمنها أشياء أخرى من باب التسلية دفعها لصديقه رفعة الباشا ليترجم الدكتور مضمونها . وقد فعل .

ولقد ضمن رفعة الباشا مجلس قص علينا فيه ما كان للأمير شكيب من حسن المحاضرة وجميل المعاشرة ؛ ومن بين ما عرضه علينا من آثار تلك القصيدة التي حوت مع الفكاهة على حد قوله تحميداً وتوحيداً ، فرأيت تسلية قراء الرسالة بها إذا وافقت لصاحبها الأستاذ الجليل والسلام .

أحمد نجيب هراوة

قصيدة الأمير شكيب أرسلان

سيدي لا عدمته

أريد أن أسليك وأن أفكهك بين وقت إلى آخر ، فإن للذات العقلية لها دور لا ينكر . فهذه أبيات نظمتها لتطربك ، فيها نكات وملح ، وفيها مواعظ وحكم ، وفيها تحميد وتوحيد ، والله المستعان .

أقول لبيكل مذ قد غدا ... يساوره داء المفاصل
قضى بك ربي شفاء السقمى ... وربي لما شاء يفعل
تفردت في حكماء الزمان ... فأنت بحق لهم أول
وأحسنت ترقيع شيخوختي ... فلله درك يا بيكل
وكنت قليل الرجا في الحياة ... فعادت حياتي كما أؤمل
وذقت لسري لذيذ الرقاد ... وهل للكرى مثل يعدل
وزاد اشتهائي لفصل الطعام ... فقد ملح النوم والمأكل
وقد كان لي نفس ضيق ... إذا بات يصعد أو ينزل
فقد رجعت رئتي حرة ... يجول بها النفس الأطول
وقد كنت أمشي ببطء عظيم ... كمن قد غدا حبلاً يحمل
وما كان خطوي خطواً ولكن ... خطى سحبتني بها الأرجل
فها أنذا صرت أمشي سريعاً ... على قدر ما شئت أستعجل
وقد كنت أرجف برداً وإن ... تلك النهار في جانبي تشعل
فقد صرت مستغنياً عن صلاها ... وأخرج ليلاً ولا أسأل
نعم قد أتاني أخيراً زكام ... وهذا بكل الورى ينزل
وكان سعال ومن ذا الذي ... يمر الشتاء ولا يسعل
على أنه قد مضى كله ... وعاد إلى صفوه المنهل
ومهما يك المرء مستقصيا ... فلا بد من أنه يثقل
وينسى ولا سيما إن غدت ... هناك الخطوب التي تذهل
فأستغفر الله إني نسيت ... فللثوم في صحتي مدخل
وما في النبات لسري نبات ... أجل من اللوم أو أمثل
كريه الروائح لكنها ... ثناء هو المسك والمندل
وأن الشرابين عند الشيوخ ... لتيبس من فرط ما تذبل
فبالثوم يمكن تليينها ... ويجري الدماء بها يسهل
فحيث يا ثوم من بقلة ... خيوط الحياة بها توصل
سعيد الشباب وفي أكله ... يطول الشباب ولا يأفل
ويبكل للثوم مستحسن ... ومن ذا الذي فضله يجهل
فمهدا لربي على صحتي ... ألا إنه وحده المؤئل
عليه توكلت وهو اللطيف ... الذي بن يرجيه لا يخذل
ولا بد لي من معاد ولكن ... معاد إلى الحق لا يثقل
ومن حل يوماً بدار الكريم ... فيا ليت شعري هل يهمل
نحب الحياة ولسنا لندري ... لسر الذي بعدها أفضل
ولكن عمراً طويلاً يلذ ... ويحلو لكل امرئ يبتغل
وإنا برغم كروب الحياة ... لنرغب في أنها تهمل
وإن حياة الرجال العظام ... حياة لنبرم تشعل
وإن حياة الرجال الكرام ... دوام الدماء لها يجعل
فأبقاك ربي يا سيدي ... بثوب الهنا دائماً ترفل
وأبقى ذويك جميعاً بخير ... سحائبه أبداً تهطل
عملت من الخير شيئاً كثيراً ... فأنعم فذا خير ما يعمل

الباقي

شكيب أرسلان